الفصل الثالث

الجامعة وتميز الأداء

أولا: مرتكزات التغيير الموجه نحو التميز الجامعي.

ثانيًا: التميز في الأداء الجامعي"المفهوم – الدواعي – المعايير.

obeikandl.com

obeikandl.com

أولا: مرتكزات التغيير الموجه نحو التميز الجامعي:

هناك مجموعة من المرتكزات التي ينطلق على أساسها التغيير الموجه نحو التميز والتي يتم من خلالها :

- ✓ نبذ وخلخلة القيم السلبية مثل قيم الإتباع والخنوع والنمطية..
- ✓ دعم قيم الاصطفاف ، وتأكيد وتثبيت قيم الهوية والثوابت والخصوصية الثقافية.
- ✓ بث قيم التغيير الموجه نحو التميز، والإبداع ، وقيم النماء.
- ✓ تعزيز قيم التواصل مع الذات والآخر.

ويمكن عرض بعض هذه المرتكزات كما يلي:

1- الإيمان بالتغيير والوعي بمساراته نحو التميز في السياق المجتمعي الراهن:

إن أولى الخطوات المحركة لإحداث التغيير الموجه نحو التميز هو وعي الإنسان المصري وإيمانه بعملية التغيير، وإدراكه التام بأن التغيير سنة الحياة. وكي يكون التغيير دافعا وموجها للتقدم والتميز ينبغي أن يرتبط بجملة التحديات والتحولات الاجتماعية ، والسياسية المعاشة كسياق عام وإطار يتم من خلاله تحديد غايات وأولويات التغيير. وأن تشارك كل القوى المنوطة من رجال الفكر والثقافة، والسياسة والتربية...في إحداث هذا التغيير الموجه في المجتمع ومؤسساته.

فيرى **أبو حلاوة** (2001)"أن التعليم أخطر من أن يترك للتربويين وحدهم مثلما أن الحرب أخطر من أن تترك للعسكريين وحدهم" (أبو حلاوة ، 2001 187). وهذا يعني أيضًا أن التغيير التربوي يشترط تغييرات وشروط اجتماعية وسياسية شاملة ، بتغيير سلبيات البنى المختلفة بها ، وتحديد أبعاد فلسفتها التربوية.

obeikandl.com

2- مرتكز ثقافي فكري:

يرى **وطفه** (2007) أن التربية تشكل عمق الثقافة وجوهر تكوينها وحصنًا منيعًا يمكن توظيفه في وجه التحديات الثقافية والتاريخية، التي تفرضها عولمة جارفة طاغية... وهذا يتطلب الأخذ بعين الأهمية والاعتبار الدور الثقافي للتربية في إعداد المجتمع وتحضيره إنسانيا لمواجهة التحديات الراهنة. كما يتطلب الوعي بالنظام التربوي القائم وتحليله والكشف عن عناصر قوته وضعفه، ومدى قدرته على أداء رسالته في تأصيل القيم الحضارية الحقة، وتعزيز الانتماء، وتأكيد الهوية بعيدا عن محاولات الصهر والتذويب والإحلال (وطفه، 2007، 326). وهذا يدعو ويؤسس إلى تميز الدور الثقافي والفكري الذي تقوم به الجامعة المصرية تجاه قضايا الثقافة والهوية في سياق دورها التربوي.

3- مرتكز علمي أكاديمي:

مر تاريخ الإنسانية بثلاث مراحل ثورية كبرى من خلال العلم... اعتمدت الثورة الأولى على البخار والفحم والحديد، بينما اعتمدت الثانية على الكهرباء والنفط والطاقة النووية. أما الموجه الثالثة، وهي الأحدث، فقد استلهمت العقل البشري والمعرفة الإنسانية وقودا حضاريا لا ينضب ولا يفنى أبدا. وتأسيسا على معطيات الموجه الثالثة بمنطلقاتها المعرفية، فإن بلدان العالم تعيد النظر في أنظمتها الفكرية والتربوية مراجعة شاملة وجذرية من أجل إعداد البشر للخوض في عالم يتقد بالمعرفة والإبداع (وطفه، 2007، 325). لذا فإن التربية والتعليم ينبغي أن ينطلقا في تحسين أدائهما وتجويد وإتقان جوانب العمل بهما بتوظيف المعرفة وإمكانات العقل البشري في بناء الإنسان المتميز، في ظل هذه الثورة

المعرفية الرقمية الكبيرة ، وفي إطار من الحرية الأكاديمية ، واللامركزية التربوية وخلخلة النظم التربوية التقليدية ، وتغيير أساليب ، ومناهجها ومنهاجها في التفكير.

فيرى وطفه أن "نظم التعليم في العالم العربي ومناهجه تحقق الضبط الاجتماعي بدلا من تكريس الحرية المترتبة على المعرفة ، وتؤدى إلى المحافظة على الوضع القائم ، بدلا من زرع روح التمرد المبدع البناء في اتجاه تغيير الواقع نحو الأفضل" (وطفه ، 2007 ، 339). مما سبق فإن التغيير الموجه نحو التميز في التعليم الجامعي يصعب إحداثه ، من دون اعتماد العلم والبحث العلمي والمعرفة وتكريس قيم التميز والاحتكام إلى معاييره لإحداث نقله نوعية في هذا النمط من التعليم. وأيضا من خلال إنماء الحس النقدي لدى الفرد ، وأن يضع الأفكار موضع النقد وأن يتعامل مع التحديات ويواجهها بنفس المنطق.

4- مرتكز اقتصاد/سياسي:

إن العلاقة بين التربية ، والنظام السياسي والاقتصادي علاقة متشابكة فالتربية بأهدافها إما أن تحافظ على هذه النظم القائمة وتوفر شروط ومبررات استمرارها وإعادة إنتاجها ، ومن ثم إعادة إنتاج نسق القيم المرتبط بها. وإما أن تكون التربية موجة لهذه الأنظمة ومشاركة لها في ذات الوقت لإحداث حالة من التغيير الشامل تجاه التحول للأفضل في إطار نسق قيمي دافع للتغيير نحو الإتقان والتميز. والجامعة المصرية إحدى المؤسسات العريقة القادرة على إحداث هذا الأمر.

إن التعليم المتميز ضرورة اقتصادية وأمن قومي ، وهو ما تقره كل المجتمعات المتقدمة ، التي اتخذت من التعليم والبحث العلمي سبيلا للارتقاء في كافة المجالات فقد أدركت الولايات المتحدة الأمريكية العلاقة الوثيقة بين تكوين أمة ناجحة ومتميزة وبين إتاحة التعليم الجيد للجميع ، فأقدمت على عدة إصلاحات ومبادرات بالتعليم لديها.

وهناك أبعاد اقتصادية متعلقة بفرص جذب الاستثمارات التجارية نتيجة المبادرات الجامعية البحثية ، إضافة إلى توفير قوة عمل من المفروض أنها عالية التدريب والمهارات تقدم للشركات التي تجذبها الجامعة... وهناك أيضا الدور الاجتماعي والسياسي التي تؤديه الجامعة في إثراء وتطوير المجالات المختلفة كإثارة الاهتمام بقضايا السياسة العامة ، والارتقاء بالذوق العام (بدوي ، 2006 204). وبالتالي فالعلاقة جدلية بين التربوي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي كأنساق فرعية تحت مظلة المجتمع وفي سياق التغيير والتوجه نحو التميز.

5- مرتكز الشراكة الإنسانية ودعم أخلاق التواصل:

يعبر الفيلسوف الفرنسي **كاستورياديس** عن الوضعية الإنسانية المأساوية في ظل العولمة وأدواتها الشرسة في كتابة "صعود اللامعنى" حيث يبدي قلقًا وجوديًا نتيجة انهيار المرجعيات الثقافية بمنظوماتها الأخلاقية في عصر العولمة وما بعد الحداثة. فعالمنا حسب قوله ، يعيش اليوم ظاهرة خطيرة وفريدة في التاريخ الإنساني ، وتتمثل في تصدع الأسس القيمية وانهيار المنظومات الأخلاقية وتفكك المرجعيات المنتجة للدلالة والمعنى (*Castoriadis, 1996, 43*) وفي ظل هذا

الفضاء الذي يغير الحدود ، والمرجعيات ودون موجهات يحتاج الإنسان إلى إعادة التفكير في معاني إنسانية أكثر ارتباطا بداخله حتى يعود إلى عمق إنسانيته ويكون هو الحاكم على زمام الأمور وليس مجرد أداة تنفعل دون معنى بمغريات العولمة ومجتمع ما بعد الحداثة الذي يتسم بالتفكك في كثير من البنى الاجتماعية والأيديولوجية. وهذا يقود التربية والتعليم الجامعي بشكل خاص إلى تغيير اتجاهاتها إلى الوعي والاهتمام بالتوجهات الإنسانية والمعاني الإنسانية الراقية وإنماء أسمى المشاعر وأزهى القيم التي هي أعظم ما يميز الإنسان في علاقته مع الله سبحانه وتعالى ومع ذاته وغيره من أبناء البشر. والذي يتطلب تكريس بعض أخلاق وقيم التواصل في العلاقات الإنسانية الغيرية (أخلاق الغيرية أو ما يمكن تسميتها بأخلاق التواصل والشراكة الإنسانية) لأنه لا تراجع إلى الوراء ولا يمكننا الانغلاق عن العالم ونحن نسعى إلى التغيير الموجه للتميز.

6- إحياء الثوابت الوطنية:

يمكن تحقيق إحياء الثوابت الوطنية بعديد من الممارسات منها:

- ✓ الوعي التاريخي الوطني بقراءة التاريخ وإدراك فلسفته.
- ✓ استلهام القيم الايجابية في الثقافة والفكر العربيين والتي تمثل مكون أصيل في الهوية.
- ✓ إدراك أهمية الأمن المصري العربي "الاقتصادي والسياسي والفكري والتربوي..".
- ✓ الانتماء الوطني والانتماء للهوية العربية.

إن محاولة التوفيق بين دواعي التقدم التكنولوجي وضرورات الانتماء والولاء للوطن والقيم والجذور الحضارية والحفاظ على الهوية والخصوصية في ظل ما

يفرضه العصر الراهن من تحديات ومستجدات ، يعد من المعادلات الصعبة والمنوط تحقيقها من قبل المجتمعات العربية. حيث أصبحت ثقافات الشعوب والدول في حاجة للبحث عن كل ما تؤكد اختلافها وتمايزها بقصد تكوين علاقة واضحة بين الأنا والآخر.

وبناء على رأى **السيد يسين** فإن العولمة في نظر خصومها تهدف إلى تقنين العالم وتوحيده مما يهدد الخصوصية الثقافية ، وهى في دعوتها للانفتاح بين الثقافات إنما تهدد وجود الثقافات الأصلية وتدفع بها إلى الانقراض ، وفي نزوعها إلى صياغة ثقافة كونية رسالة ضمنية بالحكم على قيم الثقافات الأخرى بالبدائية والتخلف (يسين ، 2006 ، 28). من ثم كان من الضروري إحياء الحس الوطني في حال السعي إلى التغيير بتمكين الإنسان من نسق قيمي متكامل يقوم على أساس فكرة "الانتماء الثقافي" لمجابة غزو الثقافة الدولية عبر آليات وأدوات ثورة الاتصالات والمعلومات وعلى رأسها شبكة الانترنت وإمكانات مجتمع التعلم. ويأتي دور التعليم هنا في دعم إيجابيات المجتمع المعاصر، وتجنب ونبذ سلبياته بترسيخ قيم الثقافة الوطنية القائمة على فكرة وقيمة الانتماء الثقافي. ونبذ القيم السلبية التي تجعلنا خارج نطاق الثورة المعرفية ، ومجتمع التعلم ثم محاولته تكوين قيم جديدة تحس على الشراكة الدولية في إنجازات هذا مجتمع بالإضافة إلى الترغيب في القيم التي تحض على التغيير للأفضل. ومن ثم يكون ترقية الحس الوطني في الإنسان ، أساس من أسس التغيير الموجه نحو التميز يستطيع التعليم الجامعي أن ينطلق منه لإحداث تميز بالأداء في كافة جوانبه.

ثانيا: التميز في الأداء الجامعي "المفهوم – الدواعي – المعايير".

أ: **مفهوم التميز الجامعي وعلاقته بالتغيير:**

يرى **بلكلي** أن: مفهوم التميز أحد المفاهيم التي ظهرت في العقود الثلاثة الأخيرة مقترنا مع مفهوم الجودة مبرزا الأفضل ، ومعبرا عن درجة عليا من الجودة في الأداء الأكاديمي. كما يعكس الفروق في الخصائص والسمات بين المؤسسات (*Bleiklie*, 2011,21).

ويرى **بيرفوت** أن التميز يجب أن يكون معرفا ضمن إطار المؤسسة ، ونوعها ومهمتها (بيرفوت وآخرون ، 2006، 23).

والعمل الحالي يرى أن التميز يتضح في الفاعلية والتفعيل لكل الطاقات البشرية والمادية ، والقدرة على فهم الواقع وحقيقة تطوره والوعي بمسارات هذا التطور وتغيير واستنباط طرائق ومسارات تتجه بالواقع إلى أحسن الأوضاع في كافة جوانب العمل بالمؤسسة. فتميز المؤسسة يقاس بمدى انجازها لمعايير التميز التي تعمل في ظلها على المستوى الوطني وفي ظل ثقافتها ، والذي يتطلب وصف وتحليل ما تبذله من جهود لتحقيق تلك المعايير. كما يرى أن التميز الفكري للجامعة هو الذي يحدد مستوى طموحاتها ومستوى ما تضعه من معايير تحكم ممارساتها التربوية في إطار من الوعي بواقع إمكاناتها وقدرات أبنائها ، والنظرة الاستراتيجية في تحقيق تلك الطموحات . وأنه من الممكن صياغة معايير خاصة للتميز طبقا لنوع ومهمة المؤسسة الجامعية ، ومعايير أخرى عامة تستطيع من خلالها المنافسة الإقليمية والدولية (التميز التنافسي) مع مثيلاتها. لكن من المهم أن تسأل مؤسسة الجامعة نفسها عن كيف تنشأ روح التميز والتمكن منه

وكيف تتمكن من الحفاظ على هذه الروح للتطلع إلى المزيد من التميز؟ وهذا يحتاج إلى إحداث جملة من التغييرات الجوهرية ، ومن ثم كان التغيير الطاقة المحركة للتميز إذا تم توجيهه بشكل جيد نحو إحداث هذا التميز.

وهذا ما ينطبق على الجامعة كمؤسسة منوطة بتحقيق عدة وظائف تتطلب إحداث عديد من التغييرات للوصول إلى تحسين نوعية الأداء والتوجه نحو التميز.

وقد حدد **القطب** بعض المؤشرات وجعل منها منطلقات لفلسفة التميز الجامعي قد تسهم في فهم أعمق لمفهوم التميز الجامعي ، كما يلي: (القطب ، 2009 ، 53-54): تحرير الإنسان من كافة القيود التي تحول دون إبداء رأيه أو إعمال عقله وإطلاق إبداعاته وتعظيم إسهاماته في التنمية المطردة بالمجتمع. ومواكبة التعليم الجامعي للتغيرات المعرفية المعاصرة ، ويسهم في تطويرها ، وأن يحقق التميز طبقًا لنظرة شاملة تتناول كافة مؤشراته الداخلية والخارجية ، وأن يكون تعليما من أجل الحرية والإبداع. وإعداد القوى البشرية وتأهيلها وتدريبها في مختلف التخصصات ، والاستمرار في السعي إلى التميز مع مرافقته بجهد فكري تأهيلي يحدد الغايات والمقاصد ويرسم مساراتها المستقبلية . قراءة الماضي من منظور المستقبل والقدرة على التخطيط وإتخاذ القرار في ضوء التوقعات المستقبلية، وامتلاك إرادة التغيير والتطبيق في الواقع والتقارب بين التعليم الجامعي ومؤسسات الإنتاج.

ويرى العمل الحالي أن بناء الإنسان القادر على مجابهة التحديات الراهنة بكل أبعادها من خلال التعليم الجامعي أحد أهم الأهداف الرئيسة التي تحقق

التميز في جوانب عدة. وجوهر هذا البناء هو إكساب وإنماء نسق قيمي يعمل بمثابة معايير ومبادئ تحصن أفعال وممارسات وأنشطة الإنسان من شراسة التحديات وتدفعه لمواجهتها بإبداع وإرادة قوية وفي ذات الوقت تغرس لديه دافع التميز والعمل المبدع. على اعتبار أن القيم هي موجهات ومحددات لسلوك الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر. كما أن أحد أهم مواطن التميز في التعليم الجامعي والتي تعتبر من صميم وظائف الجامعة هو الابتكار والإبداع في البحث العلمي على كافة التخصصات. فهو من أهم محاور التنافس بين دول العالم ، ومؤشر مهم في قياس معدل الإنتاجية والتميز.

ب: دواعي التميز في التعليم الجامعي:

هناك عديد من المبررات التي تجعل من مطلب التعليم الجامعي المتميز ضرورة ، منها جملة التحديات المعاصرة التي يتعرض لها المجتمع عامة ، والتعليم الجامعي خاصة ، وكذا الأزمات التي يمر بها المجتمع والتي تنعكس بدورها على الجامعات ، وأزمة التعليم نفسه التي تنعكس هي الأخرى على أوضاع المجتمع وقضاياه.

ويمكن تناول بعض هذه التحديات وكذا المبررات الداعية للتميز الهادف إلى التميز كما يلي:

- ✓ التحول الكبير المأمول في المجتمع ومؤسساته بعد ثورة يناير ومحاولة تحقيق مطالبها في العيش ، والحرية ، والعدالة الاجتماعية. " فإن جوهر ما سعت إليه ثورة يناير هو تحرير الإنسان المصري والدولة المصرية ، واحترام حق المصري في الاختيار وتمكينه منه"(عتريسي ، 2012 ، 46). والجامعات المصرية مؤسسات للبحث العلمي وإنتاج المعرفة وخدمة المجتمع وقضاياه ؛ منوطة بشكل كبير بتحقيق ذلك.

وهذا يعني تغيير في علاقة الجامعات بالمجتمع من جانب ، وتأثير العلم والمعرفة على الجامعة نفسها من جانب ثان ، وكذا ما يواجهها من مشكلات وتحديات يفرض عليها تغيير وتطوير أدوارها كبؤرة مركزية لإنتاج المعرفة من جانب ثالث.

✓ أن الجامعات المصرية تعيش في خضم بيئة دولية معاصرة تشهد تطورًا يكاد يكون غير مسبوق في تنامي دور العلم والمعرفة مما يتطلب تطويرا وتغييرا في أدوار وشكل ومضمون التعليم الجامعي بها ؛ ليضطلع بمهامه على وجه أفضل ويكون له السبق والتميز في مواجهة المشكلات ومجابهة التحديات. خاصة أن النظرة المتأصلة إلى واقع جامعاتنا في سياقها الإقليمي والدولي فضلا عن سياقها الوطني أو المحلي ، تكشف عن فجوة يتزايد اتساعها بمرور الوقت بين الواقع والمأمول من التطورات على المستوى القومي والإقليمي والدولي.

✓ أن الجامعة على المستوى المحلي في حاجة إلى ابتكار أساليب وطرق جديدة لتطوير علاقتها بسوق العمل واحتياجات التنمية المحلية ، من خلال تحديد دقيق لاحتياجاتها ومواصفات الخريج بها وكذا عضو هيئة التدريس ، وخطط البحث العلمي ، وعلاقتها بالمجتمع ، وكيفية تعاملها مع المشكلات والتحديات التي تواجهها. بمعنى آخر كيف تكون الجامعة عنصر فاعل مميز في السياق الاجتماعي والسياسي ، والاقتصادي بالمجتمع المصري .

✓ أن مهمة الجامعة في تكوين كوادر وطنية مسلحة بالعلم والمعرفة وقادرة على الإبداع ومزودة بالمهارات المتنوعة ، والتعامل مع تكنولوجيا العصر باقتدار ، وقادرة على التنافس ؛ تجعل من الجامعة مؤسسة كبيرة قادرة على تحقيق البعد المتعلق

بالأمن القومي في المجتمع. وإذا كان الأمر كذلك فإن التغيير تجاه التميز في أنحاء العمل والتعليم بالجامعة يصبح ضرورة قصوى واجبة التحقيق.

✓ أن التحديات التي تفرضها العولمة والتي تتنوع وتتلون من آن لآخر، مع التطور غير المسبوق في العلم والتكنولوجيا والثورة المعرفية وما يرتبط بهم من إنجازات وأيضا إخفاقات ، يتطلب تغيير في الأدوار والوظائف وطرق وأساليب التعامل ، واستمرار عملية التغيير وعلى رأسها عملية بناء المتعلم في كافة جوانب شخصيته.

✓ جاءت الدعوة للتميز والتوجه نحوه كمطلب حيوي تسعى الجامعات إلى تحقيقه في كافة جوانب الأداء بها وذلك للنهوض الداخلي ومجابهة جوانب الضعف بها كمؤسسة تربوية ومجتمعية قائدة للتقدم ، وللنهوض المجتمعي ومجابهة أزمة الثقافة والهوية والخصوصية في عالم تدعو فيه العولمة وأدواتها الشرسة إلى إزالة الحدود ، والتبشير بعالم متوحد الثقافة والقيم وغيرها من تداعيات تطمس الهويات وتعمل على تذويب الثقافات لصالح عالم واحد هو المهيمن أو الذي يريد أن يحكم سيطرته ويؤكدها. والجامعة كمؤسسة مجتمعية تربوية تشكل ملامح الإنسان وتؤكد بنيانه وسماته المميزة يتوجب عليها أن تقوم بهذا الدور في حماية الهوية الوطنية والقومية والخصوصية الثقافية من خطر الانسحاق العولمي.

جـ : معايير التميز في الأداء الجامعي:

يمكن مناقشة هذا الموضوع من جانبين هما:

• الأول : إشكالية الجودة في التعليم الجامعي:

تمثل معايير التميز محكات أساسية محددة لتحقيق مستويات عالية الجودة في التعليم الجامعي. " وتتسم تلك المعايير بعدد من السمات والخصائص فهي طبقًا لما جاء في المعايير القومية للتعليم بمصر من قبل وزارة التربية والتعليم تتسم بالشمولية والموضوعية والمرونة ، والقابلية للقياس والاستمرار ، كما تتسم بالأخلاقية وكونها وطنية داعمة للمجتمع (وزارة التربية والتعليم ، 2003 ، 62-63).

لكن يرى تركي أنه في ظل معايير الاعتماد العالمية التي تفرضها المنظمات العالمية وبالتالي المؤسسات القومية التي تنضوي تحتها (الهيئة القومية لضمان الجودة والاعتماد) يتم تنميط الجامعات وقولبتها لتكون نسخا متكررة تخضع لمنطق واحد وهو تبعتها للسلطات الحاكمة . تبعية مطلقة ينعدم معها أية إمكانية للتفرد والإبداع والتميز ، ويسير أعضاء هيئات التدريس داخل أطر رسمتها تلك المعايير ، ومن ثم يصبح الحديث عن الحرية الأكاديمية حديثا أجوف لا معنى له (تركي ، 2007 ، 17). خاصة وأن البعض يرى أن مصطلح "الجامعة" ذاته أصبح متنوع جدا بحيث لا يمكن أن يكون هناك نهج واحد لتنفيذ الجودة الشاملة والتميز في الجامعات. من ثم فمن الضروري أن يتم ذلك في سياق الثقافة الأكاديمية الخاصة بالجامعة. وهو نفس منطق السؤال الذي طرحته بعض الأدبيات المتعلقة

بهذا الشأن في أوروبا ، وهو كيف تتأثر الثقافة الأكاديمية في الجامعات بالمملكة المتحدة بتنفيذ نموذج التميز *EFQM* ؟ (*Giertz,1999,300*).

من ثم فإن وجود معايير واحدة للجميع تتنافى في الأساس مع مبدأ التفرد والتميز ، والحرية الأكاديمية التي تعتبر معيار أصيل في توجه الجامعة نحو التميز والإبداع. إلا أن هذا لا ينفي أهمية أن يكون هناك معايير ضابطة لأداء العمل الجامعي ، حيث تنبثق تلك المعايير أولا من الذات الوطنية ، وواضعة في الاعتبار ما أنجزه الآخرون والإفادة منه دون فرض معايير منظمة عالمية أو أخرى.

لذا يرى **رومان** أنه: يجب على الجامعة أن تثبت للمجتمع أنها تقدم تعليم يتميز بالجودة العالية لطلابها ، في ذات الوقت يخدم البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع (*Roman, 2002, 338*).

كما يرى **هوستون** أن هناك إشكالية ترتبط بحتمية تطبيق معايير الجودة في التعليم الجامعي على المستوى الدولي ، حيث يعكس في الكثير من الأحيان توترات وضغوطات كبيرة في عملية التطبيق ، منها التوتر بين الرقابة على الجودة وتحقيق التحسن في الأداء (*Houston, 2008, 61*).

وطبقًا لرؤية **هارفي** فإن مراقبة الجودة في التعليم الجامعي هي استجابة عملية لإثبات القيام بعمل ما مقابل المال"رؤية برجماتية للمستفيد" لذلك فالروابط بين آليات المساءلة وتحسين الأداء لا تزال غير واضحة (*Harvey,2002,125*). كما يرى آخرون أن الجودة كما هي مطروحة على الساحة العالمية تحد من استقلالية التعليم الجامعي ومن ثم التشكيك في قدرته على توفير فرص العمل للخريجين ، وأن سيطرة سياسة الجودة في المؤسسة التعليمية تضفي الشرعية على بعض التغييرات

OpelKanal.com

الهيكلية ، وكذلك في عملية التمويل والتركيز على المال أكثر من الممارسات المؤدية إلى تحسين الأداء..وأن فرض هذه الأمور من خارج التعليم الجامعي ذاته قد ساهم في النظرة السلبية تجاه الجودة بين الأكاديميين :

Harvey, 2005, 78; Tierney, 2006, 8; Burke, 2005, 20; (Dee, 2006, 140).

لذا يرى **هوستون** أن استكشاف الجودة في سياق التعليم الجامعي- من داخله وطبقًا لثقافته الأكاديمية- يكرس عمليات التعزيز، والعمل بحماس والتميز. أما الامتثال لأسس أخرى تفرضها وكالات خارجية فإنه يكرس عمليات الضمان والمساءلة ، والمراجعة ، والتقييم. ولهذا من المهم أن نتساءل دائمًا: من المستفيد؟ وما القيم التي يمكن تقديمها؟ مما يتطلب ضرورة النظر الدائم وراء المسميات (*Houston,2008, 64*).

وأيضًا كما يرى **كلارك ومولاند** السؤال عن ما مدى مناسبة هذه الأطر المتعلقة بالجودة والقائمة على الصناعة للتعليم الجامعي؟ وماذا توفر له لتعزيز تحسن نوعية الأداء في كافة جوانبه (*Moreland & Clarke ,1998,45*).

وفي النهاية يرى **هوستون** أن هناك اتفاق واسع على أن الجودة تمثل مصدر قلق حيث لا يوجد اتفاق حول ماهية القضايا بالضبط المراد حلها ، والكيفية التي ينبغي اتباعها للحل. على سبيل المثال: مدى تحديد مجالات التغيير، وتحديد سبل التعزيز، وقضايا تدفق المعلومات ، وقضايا الهوية المشتركة والهدف المشترك وصلاحية الإدارة ، وعدم وجود القيم المشتركة داخل المؤسسة (*Houston,2008,72*).

تأسيسًا على ما سبق فإنه من المهم السؤال عن كيف يمكن رؤية الجامعة المصرية في المقام الأول في السياق الثقافي المحلي الوطني وثقافتها الأكاديمية وقناعاتها الفكرية..والوعي في السياق الدولي بأصحاب المصلحة وتلبية التوقعات الخارجية التي تعكس بشكل أساسي علاقة الجامعة بالسوق العالمية والتفكير في الطلاب على أنهم عملاء ، وعدم القناعة بأن تحسين الأداء بالتعليم الجامعي من أجل نمو وبناء شخصية الطالب- الإنسان- وهذا البعد الإنساني الأخلاقي غائب عن علاقات العملاء نظرا لأنها ترتبط في الأساس بدافع الربح. من هنا فإن التفكير في الجودة ومعايير التميز في الجامعات بنفس ذات المنطق الذي في ثقافة مجال الصناعة والتجارة بدعوى الحصول على ضمان الجودة الأكاديمية يجعلها عملية سلبية ويضفي عليها الجانب الربحي خاصة الذي يتعارض مع البعد الإنساني والأخلاقي الذي يتوجب على التعليم الجامعي ترسيخه.

من ثم فإن توجيه التغيير في التعليم الجامعي المصري ، وصياغة معايير تقوده نحو التميز ، والوعي بما سبق - بوضع التقاليد الفكرية والثقافية في الجامعات الوطنية ، والخصوصية ، والتفرد ، والإبداع في الحسابات – يعد ضرورة تفرضها الأزمة الراهنة في التعليم الجامعي والمجتمع ككل ، وضغوط العولمة والتنافسية ، ومتغيرات المجتمع المصري التي على رأسها تحقيق أهداف ثورة يناير في التغيير للأفضل نحو العيش ، والحرية ، والعدالة الاجتماعية وانتشال مصر من كافة جوانب الفساد. والجامعة مؤسسة تربوية مجتمعية عليها دور كبير في قيادة الأمور صوب تحقيق هذه الغايات.

• **الثاني: يتمثل في استجلاء بعض معايير التميز:**

باستقراء بعض الأدبيات التي تناولت بعض معايير التميز، ومحاولة الدراسة الحالية تقديم بعض هذه المعايير والتي تتناسب مع السياق الفكري والواقعي للجامعات المصرية، وأيضا محاولة وضع طموح التغيير والتميز في حساباتها وجد ما يلي:

رصدت الدراسة الحالية مجموعة من المعايير من خلال قراءة الأدبيات ذات الصلة، والإطلاع على بعض نماذج التميز في الأداء المؤسسي، كنموذج **بالدريدج** الذي طبق في عديد من المؤسسات التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية، والنموذج الأوروبي الذي طبق بشكل كبير في بريطانيا..وغيرها من نماذج للتميز. وكذا الإطلاع على معايير الاعتماد الأكاديمي للمؤسسات الجامعية.

يعتبر البعض نموذج بالدريدج نموذجًا مثاليًا يتم من خلاله تقييم التطور المؤسسي بشكل فعال. وتشتمل معايير بالدريدج (*BECPE*) على (القيادة والتركيز على الطلاب وهيئة التدريس، والتخطيط الاستراتيجي، وإدارة المعلومات، وإدارة العمليات، والسوق، ونتائج الأداء التنظيمي) ودعا هذا النموذج إلى ضرورة تفسير المبادىء العامة وإطار التميز في الأداء بإخراجها من سياق الصناعة والتجارة إلى سياق التعليم، حيث يضع حدودا بين التعليم وتلك المجالات من خلال مجموعة من الافتراضات والأحكام. وينتقد المقارنات بينهما حيث يتم تجاهل السياقات الثقافية وطبيعة الأعمال في التعليم الجامعي، مما يؤثر على مصداقيته وحريته الأكاديمية (*Houston, 2008, 65*).

ومن المعايير التي قدمها **القطب** في التعليم الجامعي ، ما يلي: (القطب ، 2009 ، 55-67):

- ✓ الاستقلالية
- ✓ تكوين مجتمع التعلم
- ✓ الإنتاجية
- ✓ الجودة التربوية
- ✓ الاستمرارية في طرح وتجديد المعارف والخبرات
- ✓ التعددية في مصادر المعرفة
- ✓ الابتكارية في أساليب التدريس
- ✓ إنتاج وتوظيف وإدارة المعرفة
- ✓ ديمقراطية الإدارة والقيادة الجامعية
- ✓ المعالجة التربوية للتوترات الثنائية في بناء الشخصية
- ✓ القابلية للتغيير والتقويم الذاتي وإعادة الهيكلة
- ✓ الشراكة المجتمعية
- ✓ الإفتراضية.

وهناك بعض المعايير الأخرى قد تكون مرتبطة بشكل أو بآخر بما تقدم من معايير ، وهي (وطفه ، 2007 ، 342- 348):

- ✓ معرفة متدفقة بلا حدود في الزمان والمكان ومنهجية الوصول إليها "كيف تعرف" ، حيث يجري التعليم بصورة مستمرة عبر الوسائط والتقنيات التكنولوجية.
- ✓ لا مركزية الإدارة المؤسسية وديمقراطيتها.

obeikandl.com

✓ تأكيد التفكير العلمي بأنماطه المختلفة.

هذا ويرى البحث الحالي أن تحقيق تلك المعايير السابقة يتطلب تحقيق معيار الإصلاح الشامل: بمعنى أنه يتحقق التميز في التعليم الجامعي عندما يتجه الإصلاح والتطور فيه من خلال إحداث جملة التحولات والتغييرات على مستويات عدة وفي كافة جوانب العمل الجامعي. ويمكن عرض بعض معايير التميز التي يراها البحث الحالي قد توجه العمل الجامعي صوب التميز في كل جوانب الأداء بالجامعات المصرية في سياق المرحلة الراهنة كالتالي:

1-الاستقلالية:

تعد الجامعات المصرية من أقدم وأعرق الجامعات العربية والدولية والرائدة في مجالات التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع لوقت طويل. إلا أنها الآن تعاني من عديد من أوجه القصور في تلك المجالات ، وهذا يثير القلق حول مستقبل الجامعات المصرية خاصة بعد ثورة يناير. ومن مظاهر أزمة التعليم الجامعي في مصر النيل من استقلالية الجامعة وحريتها الأكاديمية ومن ثم صعوبة تحسين الأداء بها.هذا ولا يعني استقلال الجامعة الانفصال عن المجتمع وقضاياه ، ولا عن قيمه ، ومثله ، وعاداته ، وإنما يعنى استقلالها في تحقيق وظائفها دون تدخلات تؤثر على إدارة شئونها (التل ، 1997 ، 508).

فالمقصود باستقلال الجامعة هو أن تكون الجامعة قادرة كمؤسسة على أن تحدد غاياتها وأساليب بلوغ هذه الغايات في حرية ، ودونما أي ضغوط من جانب المؤسسات الحكومية والسياسية والاقتصادية والفكرية الوطنية أو الأجنبية على حد سواء (السيد ، 2005 ، 643). وحدد **العطار** خمسة أركان تشكل المقومات

الأساسية لمفهوم استقلال الجامعة وهي: استقلال المعرفة ، التواصل مع السوق ، الزمالة ، التمويل ، والمحاسبية (العطار ، 2009 ، 72-73).

وفي استقلال الجامعة يرى **تركي** أنه لا ينبغي أن يستخدمها أحد في تحقيق أهداف خاصة وإنما ينبغي أن تظل الجامعة مشدودة للقيم الإنسانية العليا ، وهو مطلب عزيز المنال ويشهد على ذلك التطور الذي عرفته الجامعة في كل بقاع الأرض وحدد "تركي" بعض المخاطر التي تفقد الجامعة استقلالها وهى: (تركي ، 2007 ، 13-14):

- ✓ استخدام الدولة للجامعة كأداة لتحقيق مصالح القوى الاجتماعية المهيمنة سياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا.
- ✓ فقد قيادات الجامعة إرادتها وتخضع للسلطة الحاكمة وتكرس كل جهدها لإرضاء هذه السلطة.
- ✓ تحول نظم العمل فيها إلى مجموعة من الإجراءات الروتينية الشكلية والتي تتحول مع الوقت إلى قيود جامدة تكبل الحركة وتقتل الإبداع.
- ✓ اعتماد الجامعة شبه الكامل على تمويل الدولة لها وهو أمر يترتب عليه بالضرورة أن تخضع الجامعة لإدارة ممولها الذي يتوقف عليه استمرارها في الوجود أو توقفها.

ما سبق يعني ضرورة أن تكون الجامعة مستقلة ماليًا وإداريًا في تحقيقها لأهدافها وأولوياتها المادية والبشرية والوظيفية... والتشريعية وغيرها من جوانب تعبر عن استقلاليتها.

obeikandl.com

2-الحرية الأكاديمية

تعد الحرية الأكاديمية من أهم السمات المميزة للجامعة ودعامة أساسية لتميزها ، حيث حرية الفكر والعمل والبحث دون حدود ولا قيود مجتمعية بل أنها داعمة لهذا المجتمع.

وتتضمن الحرية الأكاديمية حرية تعليم ومناقشة أية مشكلات أو قضايا بدون تدخل خارجي ، وحرية أعضاء المجتمع الأكاديمي . أعضاء هيئة التدريس والطلاب . في اتخاذ القرارات الخاصة بهم (مينا ، 2001 ، 27).

وفي هذا الصدد يقول **طه حسين**: إنه لا ينبغي لنا أن ننتظر تعليمًا صحيحًا منتجًا من جامعة لا يتمتع رجالها بالاستقلال والحرية.

كما يقول **أحمد لطفي السيد**: أن التعليم الجامعي أساسه حرية التفكير والنقد واستقلال الرأي (حميد ، 2009 ، 402).

كما تناول **العطار** الحرية الأكاديمية من حيث التعريف والأبعاد ، وتوصلت دراسته إلى أن الحرية الأكاديمية تتضح في المظاهر الآتية (العطار، 2009 ، 77):

- ✓ حرية عضو هيئة التدريس في البحث عن الحقيقة ونشرها
- ✓ حرية إعطاء أفكار ومعلومات في ميدان تخصصه للطلاب من دون تدخل الآخرين
- ✓ الحق في توجيه الانتقادات للبرامج التعليمية والتنظيمات الإدارية والسياسات والإجراءات الجامعية
- ✓ الحق في إيصال مقتراحاته من خلال القنوات المناسبة إلى السلطات العليا في الجامعة.

ويرى **صقر**(2007) ضرورة التحرر من هيمنة أطر أو أنماط فكر بعينه لأي سبب وأن تفسره تفسيرًا علميًا ، ويقتضي كذلك العمل على صوغ سياسة تعليمية هدفها بناء عقول حرة دينامية منفتحة على الآخر ، وتتميز بالشفافية والقدرة المنهجية على فهم المشكلات ، مع الإيمان بمشروعية التنوع والاختلاف. والجامعة أقدر على ذلك من غيرها من مؤسسات المجتمع ، إذ تضم صفوة المفكرين والمثقفين (صقر ، 2007 ، 98). من ثم ضرورة توفر الحرية الأكاديمية للأستاذ والطالب الجامعي.

3-التغيير المتجه نحو التميز: -

لابد أن يرافق التميز في التعليم الجامعي عديد من التغييرات الجوهرية في الشكل والمضمون حتى يتوجه هذا التعليم صوب التميز في كافة أبعاده. ويتطلب إحداث هذه التغييرات وجود فلسفة تربوية واضحة تقود وتوجه فكر التغيير وتحدد على أساسها أولويات العمل. ومن ثم إحداث كافة التغييرات التي تتيح التميز.

4-الإتقان والجودة: -

يرى **ديفيز واليسون** أن مفهوم الجودة يشتمل على ستة مفاهيم هي: ملائمة الهدف . التحسين المستمر . التخلص من التناقضات . الإجراءات . توكيد أو ضمان الجودة . الاقتراب من العميل (*Davies; Ellison,1998*).

وفي إطار الحديث عن التغيير وتطوير التعليم ، ترى وزارة التعليم بدولة الإمارات أن برنامج تطوير التعليم يعتمد على ثلاثة محاور أساسية للوصول للجودة المطلوبة ، هي (وزارة التربية والتعليم ، 2001 ، 5):

obeikandl.com

- ✓ محور التغيير والتحديث *Innovating changing* من خلال تنوير وتحسين الأوضاع القائمة.
- ✓ محور التغيير الهيكلي *Structural changing* ويسعى إلى إنشاء بنى تحتية جديدة وتدعيم البنى القائمة لتصبح قادرة على تحمل أعباء التطوير.
- ✓ محور التغيير المؤسسي *Institutional changing* ويعني إحداث تحول استراتيجي في المنظومة التعليمية بما فيها ، ومن فيها لتصبح بنية تعليمية صالحة لإعداد النشء ليكونوا قادرين على مجابهة التغيير، وعلى الإبداع والإثراء والإنتاجية العالمية. وإنجاز كل محور للوصول إلى الغايات المنشودة يتطلب الإتقان والجودة.

5-التنافس: –

يقدم **أحمد** (2005) خمس استراتيجيات تستطيع المنظمة التعليمية "الجامعة" تحقيق التنافسية بينها وبين مثيلاتها وهي: التنافس بالوقت ، التنافس بالجودة ، التنافس بالتكلفة ، التنافس بالمرونة ، ثم التنافس بالتميز وتظهر في امتلاك المؤسسة التعليمية عدة فروق تميزها عن مثيلاتها ، وأيضا امتلاكها لأداء فائق يمكنها من أن تكون رائدة أو متميزة في أحد أو بعض المجالات ، أبرزها التكنولوجيا المعلوماتية ، الخدمة التعليمية والمجتمعية خصائص العاملين (هيئة التدريس ، الهيئة الإدارية ، الهيئة القيادية) ثم خدمة المستفيدين (أحمد ، 2005 ، 13).

6-الإنتاجية:-

وتعني الاهتمام المكثف بإنتاجية جميع العناصر المكونة للجامعة من أساتذة وطلاب ومعاونين. وهذا يستلزم إتباع آليات لتطوير الإجراءات المحققة لهذه الإنتاجية من تطوير لساعات الاتصال الدراسي ، وأوقات الانتظام والدوام به، وأنماط التقويم والنتائج المعرفية (أحمد ، 2006 ، 649).

ويرى **القطب** أن الجامعة المتميزة تهتم بالإنتاجية كهدف رئيس في بناء الشخصية ، لأن دلالات الحاضر ومؤشرات المستقبل تدل على أن هناك إرتباطًا متزايدًا بين التعليم والعمل المنتج (القطب ، 2009 ، 58).

7-المستقبلية: -

وتعني أن تولي الجامعة البعد المستقبلي اهتمامًا كبيرًا سواء في فلسفتها أو أهدافها أو برامجها أو تنظيماتها أو أساليبها. ومن ثم تصبح المستقبلية معيارًا للتميز الجامعي.

8-الإدارة الفعالة: -

في إطار تحقيق التميز للتعليم الجامعي يتوجب تفعيل الإدارة الجامعية في ضوء رؤية مستقبلية تستوعب التغيرات المتجددة وتستشرف المشكلات والحلول المناسبة لها... وتمتلك القدرة على إحداث تغييرات جوهرية في البنى الجامعية... وهذا يتطلب إدارة وقيادة جامعية ديمقراطية.

9-الإبتكار: -

يسعى التعليم الجامعي المتميز إلى تقديم كل السبل الداعمة لتنمية الإبتكارية لدى طلابه ، بتوفير أساليب تدريس مبتكرة تشحذ عقول الطلاب وتخاطب كل حواسهم ، ويقدم للطلاب الرعاية العلمية المتميزة. كما يقدم الدعم والحافز لأعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم.

10-**تقبل الآخر: -**

يسعى التعليم الجامعي المتميز إلى دعم أخلاقيات التواصل مع الآخرين سواء كانوا من الطلاب أم أعضاء هيئة التدريس والهيئة المعاونة أم من الإدارة الجامعية أو العاملين بالجامعة ، أو كل هؤلاء مع من هم خارج الجامعة من عناصر بشرية.

11-**الإنتقاء: -**

تعني تغليب فكر الاختيار الواعي الذي يقود إلى التميز، في تحديد الإطار الفلسفي (المرجعية) وفي تحديد الأولويات في كل عنصر من عناصر العمل الجامعي، كاختيار البرامج والأساليب ..وغيرها.

12-**إحياء القيم الجامعية الأصيلة: -**

تسعى الجامعة المتميزة إلى توفير الأمان النفسي لطلابها وأعضاء الهيئة بها وكافة العناصر العاملة بها. كما توجد السلام الاجتماعي بين كل المجموعات السابقة ، وتوفر مناخ الاحترام المتبادل بينهم.

obeikandl.com

13-**المبادأة:** -

وتعني كمعيار للتعليم الجامعي المتجه للتميز، الفكر الاستباقي والعمل المبكر الذي يمثل الفعل وليس رد الفعل. ويتضح ذلك في كافة جوانب العمل الجامعي في استشراف الحدث ، في سرعة الاستجابة للاتجاه الصحيح ، في الوقاية من المخاطر المحتملة وغيرها.

14-**إحياء الحس الوطني:**-

التعليم الجامعي المتميز هو أولا متميز محليا على أرض الوطن في ظل ثقافته وتقاليده الفكرية وحسه الوطني ، متميز وهو محتمي بلغته وفكره وأساليب حياته وأسلوبه المتفرد في التفكير ، وبراعته في ابتكار أشكال جديدة من الممارسة. وهو متحرك عبر التاريخ الجامعي في أطر أخلاقية تذكر أبناء الأمة بأمجادها في العلم وكافة مجالات الحياة. يتحرك هذا التعليم المتميز ليربط أبنائه عبر التاريخ بهويتهم ، وهم في ذات الوقت يتنفسون روح العصر.

15-**الاستقطاب:** -

يبدع التعليم الجامعي المتميز عديد من الأساليب التي تمثل عناصر جاذبة للطلاب من أجل التعلم ، وعناصر فاعلة للعمل والبحث والمشاركة من قبل أعضاء هيئة التدريس. وهذا يتطلب توفر إدارة تتبنى الأفكار المتميزة وترعاها ، كما يتطلب القيام ببعض الإجراءات الناجحة في هذا الشأن كالاستعانة بالخبرات المتميزة.